الأمير عبد القادر الجزائري في ذاكرة أحفاده
"الأميرة بديعة الحسني الجزائري أنموذجا"

محمد السعيد قاصري، جامعة المسيلة، الجزائر

❖❖❖❖❖

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تاريخية جديدة حول الأمير عبد القادر الجزائري، دراسة اعتمدنا فيها على مرجعية شفوية استخلصناها من ذاكرة سمو الأميرة بديعة الحسني الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر التي لا تزال على قيد الحياة؛ وتعالج هذه الدراسة موقع الأمير في ذاكرة حفيدته التي ترى ضرورة إعادة النظر في بعض المغالطات التاريخية التي لُفِّقت للأمير ونُسبت له فباتت من المسلّمات في الذاكرة الجماعية الجزائرية. ولعل تصويب الأميرة وتصحيحها لهذه المغالطات بالأدلة العلمية والشواهد التاريخية سيساهم في إعادة كتابة سيرة الأمير عبد القادر كتابة صحيحة بعيدة عن كل هذه الشّبهات والمغالطات.

Résumé

Cette étude tente de présenter une nouvelle lecture historique concernant l'Emir Abdelkader dans laquelle on s'est appuyé sur une référence historique verbale, la princesse Badiâ El-Hasani, la petite-fille de l'Emir Abdelkader, actuellement vivante. Cette étude traite de l'importance de l'Emir dans la mémoire de sa petite-fille, qui croit qu'il est nécessaire de revoir certaines falsifications historiques concernant l'Emir, devenues des certitudes dans la mémoire commune algérienne. Il est espéré que les corrections apportées par la Princesse et étayées des preuves scientifiques et les citations historiques, contribueront a une réécriture saine de la biographie de l'Emir.

❖❖❖❖❖

لم نكن نتطلع في يوم ما إلى الخوض في مثل هذا الموضوع اعتقادا منا أن الأمير عبد القادر قد أخذ حقّه من البحث والدراسة كما يرى كثير من الباحثين، إلا أن ما بات يُكتب ويُقال حوله في المجلاّت والصّحف والجرائد وحتى عبر شبكة الإنترنت من دسائس ومعلومات مغلوطة دون تحري الصدق والموضوعية؛ كان سببا في مبادرتنا إلى كتابة هذا المقال انتصارا للحقيقة التاريخية ومساهمة منا في إعادة كتابة تاريخ الجزائر بأقلام نزيهة وموضوعية؛ ورد الاعتبار للأمير الذي يُعد رمزا وطنيا وفخرا للجزائر ومكسبا تاريخيا ثمينا يجب أن نعتز به.

وسنعتمد في كتابة هذا المقال على محاولة توظيف الذاكرة الشفوية الجزائرية التي ما زالت تحتفظ لنا بكثير من الحقائق التاريخية، ذاكرة تعود بنا إلى ثلاثينيات القرن الماضي وتتمثل في حفيدة الأمير عبد القادر الأميرة بديعة التي سمحت لنا الظروف بالالتقاء بها

أثناء مقامنا بالعاصمة السورية دمشق في شهر جويلية 2008 في رحلة علمية؛[1] حيث أفادتنا مشكورة أثناء لقائنا معها برفقة أحد الأساتذة[2] بمعلومات تاريخية قيِّمة ستساعدنا دون شك في كتابة هذا المقال.[3]

وعليه سنسعى إلى الإجابة عن جملة من التساؤلات: ما هو موقع الأمير في فكر الأميرة بديعة من خلال مؤلفاتها وأقوالها وتصريحاتها؟ ما هي النقاط الجوهرية العالقة في فكرها والتي تُعد في نظرها من أكبر المغالطات التاريخية التي يراد من خلالها تشويه سمعته ومكانته؟ إلى أي مدى يمكن اعتماد أفكارها وآراءها كمصدر أساسي في إعادة كتابة تاريخه؟ وما هي الأسس والركائز التي اعتمدت عليها في سبيل تصحيح المغالطات التاريخية المطروحة حوله؟. وما هو البديل الذي تطرحه؟. وبناء على هذا الطرح سنسعى للإجابة عن هذه الإشكالية ضمن العناصر التالية:

1- التعريف بالأميرة بديعة.
2- موقع الأمير عبد القادر في فكر الأميرة بديعة من خلال إنتاجها الفكري.
3- جوانب من المغالطات التاريخية المتداولة في نظرها حول الأمير ومحاولة تصويبها.

1- التعريف بالأميرة بديعة

هي كريمة الأمير مصطفى بن الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر، ووالدتها الأميرة شفيقة بنت الأمير عبد المالك، ولدت في ثلاثينيات القرن 20م بمدينة تطوان المغربية، ثم انتقلت برفقة عائلتها إلى دمشق حيث استقرت بها، **درست في** معهد دوحة الأدب ودار اللغات بدمشق، وساهمت في تأسيس كثير من الجمعيات النسائية، كالمبرّة،

والرعاية، وجمعية مكافحة الأمية للسيدات، **شاركت كعضو فعال في ندوة الحوار الإسلامي** المسيحي التي انعقدت في طرابلس الغرب، وفي **أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة** 1956 **تطوعت** في المقاومة الشعبية، وكانت قائدة لوحدة فدائية، وفي سنة 1959 **رُشحت من قبل أنصار الوحدة لمجلس الأمة (الإتحاد القومي) كممثلة** للمهاجرين.

تزوجت من العميد المرحوم عدنان محمد راغب العجلاني، وأنجبت منه ثلاث أطفال وبنت هم على النحو الموالي: فوزان، وغياث، ويَزَن، **وبتول.** وهي لا تزال على قيد الحياة وتتمتع بذاكرة قوية جدا. وهذا ما لمسناه من خلال مقابلتنا معها، حيث راحت تتحدث لنا عن ذكريات تاريخية غالية وثمينة جدا استقتها عن جدتها؛ حتى بدا لنا وكأنها عاشت الأحداث التاريخية التي روتها لنا خصوصا عن جدّها الأمير عبد المالك؛ ويعود هذا في نظرنا إلى حرصها الشديد على معرفة تاريخ بلادها ووفائها لبطولات أجدادها.

2-موقع الأمير في فكر الأميرة بديعة من خلال إنتاجها الفكري

يحتل الأمير في فكرها مكانة معتبرة ومتميِّزة حيث لا تكاد تخلوا كتابتها وأحاديثها عنه في **كل المناسبات والأوقات**، وإذا طلبت منها أن تُحدثك عن الأمير فهي لا تكاد تتوقف عن سرد الأحداث التاريخية والتفاعل معها وكأنها شاهد عيان، وما يلفت الانتباه وهي تتحدث إليك تلك الصور التاريخية الخاصة بالأميرين عبد القادر وعبد المالك وأبنائهما التي زيّنت بها جدران بيتها، هذا فضلا عن الكم الهائل من الوثائق التاريخية التي ما زالت تحتفظ بها في سجِّلاتها،

ناهيك عن مكتبتها الثرية بالمصادر والمراجع

ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين	طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين
الجذور الخضراء.	وما بدلوا تبديلا.
الأسس الاقتصادية في الإسلام.	فكر الأمير عبد القادر.
ردود على مغالطات تاريخية .	ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير.
أصحاب الميمنة إن شاء الله.	سيرة ذاتية بعنوان قطوف باسقة.

التي تتحدث عن الأمير عبد القادر.

لقد بذلت الأميرة بديعة جهدا كبيرا في التأليف حول الأمير، ورغم تقدمها في السن إلا أنها ما زالت تَعِد بالمزيد من المؤلفات والقراءات التاريخية حوله؛ ومن أهم المؤلفات التي أثْرت بها المكتبة الجزائرية والعربية[4]:

هذا إلى جانب مساهمتها في كتابة مقالات عديدة في صحف ومجلاّت وطنية وعربية كجريدة الشعب والشروق والحقيقة والرئيس ..الخ، ومن أمثلة ذلك:

1- ((صفحات من التاريخ المشترك))، الثورة السورية، ع. 9775، بمناسبة الأيام الثقافية الجزائرية لسنة 1995.

2- ((إننا بحاجة إلى إعادة كتابة تاريخ مناضلينا بصورة أمينة))، الشرق الأوسط، ع. 4273، 1990

3- ((حقائق بعيدة عن المغالطات التاريخية)). مسالك، ع. 2، جويلية 1998.

4- ((أدعو الدولة لتصحيح التاريخ المدرسي الذي يشوِّه الأمير عبد القادر))، الخبر اليومية، 26 ربيع الأول 1430هـ والموافق لـ 23 مارس 2009م، ص. 27. والشروق اللبنانية والكيان الإماراتية واليمامة السعودية..الخ.

3-جوانب من المغالطات التاريخية المتداولة في نظرها حول الأمير ومحاولة تصويبها.

من خلال الإطلاع على بعض مؤلفاتها توصّلنا إلى أن هناك جملة من المغالطات التاريخية التي ما فتئت تشير إليها وتطالب بتصحيحها في الذاكرة الجماعية الجزائرية عموما ولدى الناشئة خصوصا. ولم تكتف بذلك بل راحت تقدم الشواهد التاريخية والبراهين العلمية لتفنيدها، ويمكننا إدراج جوانب من هذه المغالطات في نقطتين رئيسيتين: مسألة استسلام الأمير عبد القادر ومؤلفاته.

1- مسألة استسلام الأمير عبد القادر

ترفض الأميرة بديعة رفضا قاطعا هذه الفكرة وهذا ما نلمسه من خلال مضمون الاقتباسات الآتية: «أما كلمة استسلام فلقد قيلت عن مجرمي الحرب من الدول أو القتلى واللصوص فَيُقال عنهم استسلموا بعد نفاذ ذخيرتهم أو بعد أن حوصروا، لأن كلمة استسلام معناها الخضوع في ذلّ وهذا في جميع معاجم لغتنا العربية ولا تليق بمجاهد وبطل دافع عن الحق والكرامة وعزة وطنه».[5] ثم

سرعان ما تتساءل: «أليس من الواضح أن الأوربي المتعالي خطط وهو مدرك معنى هذه الكلمة جيدا في اللغة العربية فألصقها بتاريخ الأمير عبد القادر ورجال دولته كالخليفة أحمد بن سالم؟»[6]

وفي إطار الحوار الذي أجرته معها جريدة الخبر اليومية بدمشق تكون قد أدلت بالتصريح **التالي:** «إن الواجب الوطني يلزم على الدولة الجزائرية تصحيح ما كتب في المناهج المدرسية عن البطل المجاهد الأمير عبد القادر، بما يعيد له كرامته وحق جهاده، ويأتي ذلك بتقديم المعلومات الصحيحة للتلاميذ الجزائريين، وإبعاد المشاعر الدونية عنهم، حين يقرؤون أن رمز كفاح بلادهم قد أنهى حياته النضالية **بالاستسلام والخنوع للعدو.**»[7]

وخلال مقابلتنا معها تكون قد أفادتنا بنص رسالة كتبتها إلى سعادة سفير الجزائر بدمشق كمال بوشامة بخصوص مطالبة الدولة الجزائرية بتصحيح الأخطاء التاريخية المتداولة حول الأمير **عبد** القادر، وهي رسالة مطوّلة نقتبس منها ما يلي:[8] «الأمير **لم** يُهزم في معركة ولم يتم أسره ولم يلق سلاحه ولم يرفع يديه مُستسلما، وهو من أوقف الحرب حقنا لدماء المسلمين بعد أن فتحت أمامه جبهة جديدة، فلجأ إلى عقد اتفاق وهو طلب تسهيل هجرته من بلاده إلى عكا لأن الموانئ كانت بيد المحتلين، لذا عقد معهم اتفاق بعد أن قبلوا وقف الحرب، وكان بإمكانهم رفضه ومنعه من الخروج من الجزائر، ولكنهم قبلوا وعقدوا معه اتفاقا رسميا. وهو دليل على خوفهم من قوته فلو كان ضعيفا لرفض وقف الحرب هذه حتى أسره أو قتله؛ هذا الذي حدث، ولكنهم **قرأوا أف**كاره فخافوا من عودته لذا اختطفوه وحوّلوا مسير الباخرة في عرض البحر نحو طولون

وأخبروه إنهم ألغوا الاتفاق وعرضوا عليه بدلا منه النفي المغلّف بالحرير، وهو أن يقبل الإقامة في فرنسا كأحد النبلاء ويمتلك القصور والمزارع، فكان جوابه: لو وضعتم فرنسا في برنسي هذا وفرشتموها بالديباج لرميتها إلى أمواج هذا المحيط ولن أقبل بديلا عن اتفاقنا. فأخذوه سجينا إلى قصر أمبواز؛ لهذا يقال غدر به.»[9]

ثم تنهي رسالتها بما يلي: «هذه الكلمة (الاستسلام) هي دخيلة على هذا الحدث لا مكان لها فلماذا التمسك بها بهذه الطريقة العجيبة؟ **ولماذا الإ**صرار عليها وعلى السير في طريق **الإذلال ورفض العزة والكرامة بكل قوة وحماس؟**»[10]

ولم تكتف هنا بتقديم هذا الطرح فقط بقدر ما حاولت تقديم قراءة تاريخية جديدة لنهاية مقاومة الأمير عبد القادر، وهذا ما نلمسه من خلال نص الكلمة الآتية: «عندما يتحدث مؤلف أو **مؤرخ في الز**من الماضي عن شخصية هامة حتى ولو كانت من الأعداء فلا يلصق بها كلمة مهينة كالاستسلام فيقول مثلا "طرح سلاحه جانبا" **أو** "التمس الأمان" **أو** "طلب الصلح" وفي هذا العصر يقال "**فك الاشتباك مع العدو" أو "أوقف القتال"**»[11]. وترى في نقطة أخرى أن ما قام به الأمير هو أنه وقّع مع الجنرال "لا مورسيير" اتفاقية سمّاها استئمان زمني.[12] وتعلق الأميرة بهذا الخصوص أن الأمير ليس هو من سماها وإنما هي باب من أبواب نظام الحرب في الإسلام.[13]

هذا إلى جانب ما جاء في مؤلفها أصحاب الميمنة بعد تنقيحه: «إن الأمير اشترط على الفرنسيين بقيادة الجنرال "لا مورسيير" عدة شروط مقابل وقف العمليات العسكرية فقبل بها

هذا الأخير» **الخ..**[14] فلو لم يكن الأمير في موقف قوة لما قَبِل الفرنسيين هذه الشروط[15]

أما ما جاء في تحفة الزائر لنجل الأمير عبد القادر سيدي محمد بهذا الشأن، فبعدما عقد الأمير مجلسه الشوري للنظر فيما ستؤول إليه الأمور خاطب جموعه قائلا: «لا أرى: إلا التسليم لقضاء الله تعالى والرضى به»[16] وتعقّب الأميرة على هذا الكلام في مراسلتها لشخصي بقولها: هذا كذب، والصحيح هو عقد اتفاق استئمان زمني كما **جاء في الدستور الإسلامي في شؤون الحرب، حسب ما** جاء في كتاب فقه السنة للسيد سابق وللعلماء المسلمين[17]

وبعد قراءة هذا الخطاب المطوّل عاد الجميع إلى التداول من جديد في الأمر إلى أن قرر الأمير أن يكون التسليم للفرنسيين، ثم دارت هناك مراسلات بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام بلياليها وافق من خلالها الطرف الفرنسي على شروط الأمير التي من أهمها: «أن يحملوه مع جميع عائلته إلى عكا أو الإسكندرية، وأن لا يتعرّضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر، وأن الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه وماله.»[18]

ومن خلال ما سبق ذكره من شواهد تاريخية **فإننا لا نكاد نجد أثرا لكلمة الاستسلام في بعض** المصادر التي عاصرت نهاية مقاومة الأمير، والكلمات التي وجدناها مرادفة لها وتكررت بشكل كبير هي: الأمان، الائتمان، الإيصال، التسليم، الضمان، الاتفاق..الخ. ومن خلال المدلول اللغوي لكلمة استسلام فإنها تتعارض تماما وهذه المصطلحات المستخدمة في هذه المصادر، وعليه **يمكننا أن نتساءل عن سبب** توظيف مصطلح الاستسلام دون غيره من هذه

المصطلحات؟ ولماذا يقال عن الأمير عبد القادر دون غيره أنه استسلم للفرنسيين؟ فلماذا لا نجد مثلا في كتب التاريخ الفرنسي أن الملك الفرنسي "فرانسوا الأول" استسلم للإسبان عندما انهزم في معركة في "بافيا" في شهر فيفري 1525 حيث تم أسره ونقله سجينا إلى مدريد أين وقّع على معاهدة مجحفة تنازل بمقتضاها على كل الإدعاءات الفرنسية في شبه جزيرة ايطاليا، كما تنازل عن أراض واسعة تقع ضمن الحدود الفرنسية نفسها من بينها دوقية برجنديا، وحتى عندما أطلق سراحه ترك ولديه رهينة عند الإسبان لضمان تنفيذ بنود هذه المعاهدة!!؟[19] ولماذا لم نقل عن "نابليون بونابرت" الذي انهزم في معركة واترلو سنة 1814 أمام الملكية الأوربية بأنه استسلم؟ ولماذا لم تعترف فرنسا بعد بجرائمها الاستعمارية في الجزائر؟..الخ.

أعتقد أنه آن الأوان لإعادة النظر في هذه المغالطات التاريخية وتصويبها ومحاربة المبتدع منها، فكيف يليق بقائد ورمز وطني كالأمير عبد القادر الذي نُدَرِّسه

لطلبتنا بالجامعة بروح علمية راقية جدا وعزة وشهامة في بداية الفصل ثم في نهايته نجد أنفسنا نَشجب ونُلغي كُل مجهودنا بجرة قلم قائلين: إن الأمير استسلم؟!. وهذا ما يجعلنا نتناقض مع أنفسنا بشكل كبير جدا بل نجد صعوبة كبيرة في إقناع الآخر بأن الأمير لم يستسلم؟ لأن جلّ المراجع التي يستقي منها الطلبة معلوماتهم تتناول هذه الفكرة المغلوطة والمدسوسة وتعمل على تشويش الذاكرة الجماعية للقارئ والمتلقي، وفي معرض حديثه عن الأمير ذكر الدكتور شاوش

حباسي[20] أن من يُقر باستسلامه يجب عليه أن يقاوم فرنسا طيلة المدة التي قاومها الأمير.

2- مؤلفاته. من المتعارف عليه أن للأمير عبد القادر مؤلفات عدّة أهمها:

غير أن مجالستنا للأميرة بديعة ومناقشتنا معها حول مؤلفات الأمير نجدها ترفض أن تكون كل هذه المؤلفات من تأليف الأمير، فالأمير ألّف في رأيها[21] **المقراض الحاد ووشاح** الكتائب وديوانه الشعري؛ كما له بعض المراسلات الشخصية والأجوبة عن بعض المسائل التي طرحت عليه، وتستنكر

المقراض الحاد	وشاح الكتائب وزينة الجيش **المحمدي الغالب**
ذكرى العاقل وتنبيه الغافل	**المواقف في** 3 **أجزاء.**
مذكرات الأمير **عبد القادر**	ديوان الأمير عبد **القادر...الخ.**

وتنفي بشدة أن تكون بقية المؤلفات الأخرى من تأليف الأمير مثل: مذكرات الأمير التي ترى أنها مُختلقة عليه، والمواقف فهو بريء منها، وذكرى **العاقل مشكوك في أمره**[22] فبخصوص مذكرات الأمير تكون قد سلّمتنا رسالة ممضاة من طرفها تؤكد على أنها مزيفة ومن أهم أسباب تزييفها كما جاء في هذه الرسالة التي بحوزتنا:

أولا: البعد الزمني لظهورها ونشرها.

ثانيا: الذي قدمها وهو مصدر فرنسي أي **مصدر مشبوه مغرض.**

ثالثا: عدم معقولية الحدث وهو الكيفية التي وجدت فيها هذه المذكرات.

رابعا: مضمون المذكرات أقوال لا يمكن أن تصدر عن رجل مثل الأمير.

خامسا: جعلوه يقول في هذه المذكرات (إنني استسلمت) وغير ذلك من الكلام الذي يريدونه أن يقوله، وهذا هو الهدف الحقيقي من هذه المذكرات أن يجعلوه يقول بنفسه ما يريدون ومع الأسف صدّقوا أنه من الممكن أن ينسى الأمير مذكراته على الأرض بعد ذهابه وتركه لقصر امبواز الذي سجن فيه أو في مكان آخر. وهنا سؤال لابد منه لماذا لم يرسلوا هذه المذكرات إلى الأمير في حين وجودها فالأمانة توجب ذلك أليس كذلك؟ ولماذا لم يذكر أحدا من عائلته وإخوته أو هو نفسه الأمير أنه نسي مذكرات في امبواز مثلا وهي شيء حميم وهام جدا لكل إنسان فكيف برجل مثل الأمير؟ ولماذا طيلة هذه المدة لم يذكرها أحد ولا يوجد لها ذكر لا في كتاب تحفة الزائر ولا في غيره؟

سادسا: لا شك أنها من التهم التي يلصقونها بهذا الرجل أو لاتهامه بالاستسلام أو تسليم نفسه. واتهامه بأقوال يستحيل على الأمير قولها في أثناء وجوده في فرنسا وأيضا اتهامه بتأليف (المواقف) وذكرى العاقل أيضا.

ومن المعلوم لدينا أن مذكرات الأمير ألفها أثناء إقامته بسجن امبواز بفرنسا (1849-1852)، ويذكر أبو القاسم سعد الله الذي قدّم لهذه المذكرات أن القصة الكاملة لاكتشافها حسب ما رواها له بوعلام بن حمودة شخصيا تعود إلى سنة 1967 وخلاصتها: إن أحد أفراد عائلة السيد "جاك شوفالييه" شيخ بلدية الجزائر في عهد الاحتلال **قد عثر على المخطوط بالصدفة أثناء البحث عن بعض الحطب في قبو المنزل للتدفئة، ولما اطلع** رب العائلة عليه وتأكد أهميته التاريخية البالغة للوطن اتصل على الفور بوزير المجاهدين وسلّمه له؛ وقد قام الوزير بدوره

بتسليمه إلى السيد مدير المكتبة الوطنية في حفل رسمي.[23]

في حين يذكر محمد الصغير بناني الذي قدّم هو الآخر للمذكرات بأن "شوفالييه" استلم هذا المخطوط من قريبه الجنرال "بواسوني" أحد الضباط الذين تداولوا على حراسة الأمير في سجني "بو" و"امبواز" بفرنسا، وبعد اطلاع السيد "تيسي" حبر الكنيسة في الجزائر عليها والإحاطة بها قدمت هدية إلى وزارة قدماء المجاهدين التي أهدتها إلى المكتبة الوطنية[24] بينما يرى محافظ المكتبة آنذاك السيد محمود بوعياد أن "جاك شوفالي" هو الذي أهدى هذا المخطوط إلى وزارة قدماء المجاهدين أثناء حفل رسمي حضره السيد "تيسي"[25]

ويذكر محمد الصغير بناني: «أن هذا المخطوط تداول على نقله ما لا يقل عن ثمانية ناسخين بناء على الخطوط المكررة في الجيم والهاء والزاي، وأن ما كتبه الأمير ينحصر من الصفحة 100-116 ومن آخر صفحة 141 إلى آخر صفحة 172 فقط، وعليه حسب رأيه فإن بقية الأجزاء مشوهة بالأخطاء ويشيع فيها التحريف والسهو، بل إن نوعية بعض الأخطاء تجعل القارئ لا يثبت أمام الشك في إمكانية الدس من أياد أجنبية إذا علمنا ما كانت تقدم عليه المصالح الفرنسية من تزوير لتضليل الأمير والتضليل به.»[26]

وما جاء في كلام أبو القاسم سعد الله حول الكاتب الحقيقي لهذه المذكرات : «وسواء أكانت (السيرة) من إنشاء الأمير أو من إملائه أو من إنشاء غيره جزئيا أو كليا»،[27] يجعلنا نشك في صحة انتسابها للأمير عبد القادر، وهذا الطرح كان قد زكّاه المرحوم والمؤرخ يحي بوعزيز الذي حقق هذا المخطوط تحت عنوان سيرة الأمير عبد

القادر وجهاده، وأكد على ذلك بقوله: «**مؤلف** المخطوط هو الحاج مصطفى بن أحمد بن التهامي وليس الأمير عبد القادر كما ظن البعض، والدليل حسبه ما جاء في الصفحة الأولى من المخطوط نفسه، غير أن هذا لا يمنع أن يكون الأمير شاركه **في كتابة بعض الفصول، وإملاء البعض الآخر كما** يتضح من النص؛ فعندما يكتب الحاج مصطفى يستعمل ضمير الغائب لأنه يؤرخ للأمير، ويسجل أحداثه، وعندما يكتب الأمير بنفسه أو يملي يستعمل ضمير المتكلم على أساس أنه يتحدث عن نفسه».[28] وهذا في نظرنا انتصار واضح وصريح للطرح العلمي الذي تدافع عنه الأميرة بديعة بخصوص مذكرات الأمير عبد القادر.

وتعقب الأميرة بديعة من خلالها مراسلتها **لشخصي بخصوص المذكرات: «كذلك المخطوط الذي أسموه (المذكرات)** على الرغم من أن منهم من شك بنسبه للأمير، ومنهم من ذكر أن الأمير بريء منه ولكن صهره التهامي هو من خطّه، كل ذلك كي لا يُقلِّلون من تقديسهم لفرنسا وكتابها الذين قدّموا هذا المخطوط وأوهموهم أنه للأمير لكي يجعلوا الأمير يعترف فيها بعدم اتزانية عقله ويصف الجاسوس الذي غدر به وأضرّ به وبالمقاومة يصفه بالشهامة ويمتدحه، وأيضا يمتدح فرنسا ويقول عنهم إنهم من بيت ملك قديم وأنهم أوفياء ويهاجم المغرب وكأنه هو ليس من هذا الشعب، ويجعلونه يبالغ بالنفاق في مدح فرنسا والجنس الروماني، ويقول كل ما يسيء إلى شخصه بنفسه».[29]

كما تذكر أيضا أن كثير من أهالي دمشق ومنهم الأكاديميين في مركز البحوث حينما وصلهم الذي يُسمى بمذكرات الأمير عبد القادر، وبعد

اطلاعهم عليه لم تُصدق أعينهم أنّ هذا الرجل المجاهد الكبير والأديب، لأمير العلماء الذي كان يُلقب في دمشق بهذا اللقب يمكن أن يصدر عنه مذكرات أو مخطوطه كهذا، **بل وجدوا ذلك** مستحيلا لذلك أهملوه، ومنهم الدكتور مكي والدكتور حسان الطليان والدكتور يحي الميرعلم.[30]

أما المؤلف الثاني الذي تنفي الأميرة بديعة بشدة انتسابه للأمير فهو كتاب المواقف؛ ومن بين الشواهد التي تعتمد عليها في هذه المسألة ما يلي:[31]

1-لم يكن الأمير عبد القادر وحده ضحية لهذه الشبهات والافتراءات حيث تشير إلى وجود عدة أعلام ومفكّرين نُسبت لهم مؤلفات لم تكن لهم ومن **أمثلة ذلك:**

-كتاب مولد العروس الذي نسب إلى المحدث الكبير ابن الجوزي.

-كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم الذي نسب للإمام فخر الدين الرازي، وتبين فيما بعد أنه مكذوب عليه لما احتوى عليه من الأباطيل.

-كتاب الرحمة في الطب والحكمة الذي نسب للسيوطي وكان مملوءا بالكلام السفيه والبذيء، غير أن السيوطي كان لا يزال على قيد الحياة فنفاه عن نفسه.

-كتاب الاستعداد ليوم الميعاد الذي نسب **لابن** حجر العسقلاني وهو ليس له.

2-ما تضمنه كتاب المواقف من زندقة وأفكار متطرفة واعتقاد خاطئ يتناقض مع التكوين الفكري والإيمان القوي والصحيح للأمير، ومما جاء في كتاب المواقف على سبيل المثال لا الحصر **من غلو وتطرف:**

-جاء في الموقف رقم 30: «قال الحق تدري من أنت فقلت نعم أنا العدم الظاهر بظهورك...فأنت الحق وأنا الحق وأنت الخلق وأنا الخلق ولا أنت حق ولا أنا حق ولا أنت خلق ولا أنا خلق فقال حسبك عرفتني فاسترني عمن لا يعرفني فإن الربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية والعبودية سر لو ظهر لبطلت العبودية وأحمدنا على أن عرّفناك بنا فأنت لا تعرفنا بغيرنا إذ لا دليل غيرنا علينا».[32]

-جاء في الموقف رقم 74: «قلت للحق تعالى القدم بالعلم ولك الحدوث بالظهور والحس فأنت القديم وأنا القديم وأنت الحادث القديم وأنا الحادث القديم فما الذي تميزت به مني وانفصلت به عني فقال لي قدمك بي وحدوثي بك فالقدم ووجوب الوجود لي بالذات ولك بالغير».[33]

فهذه الاقتباسات المخالفة لنص القرآن الكريم وللوحدانية، والتي تدخل في تأليه البشر ومحاورة الذات الإلهية ندا للند تجعلنا نستبعد أن تكون قد صدرت عن الأمير عبد القادر؛ حتى وإن سلمنا بصوفية الأمير فلا ينبغي أن تصل الأمور إلى هذا الحد. وتستشهد الأميرة بديعة في تفنيد هذه المزاعم ببعض الآراء التي قيلت حول ما جاء في كتاب المواقف؛ والتي من بينها قول الأستاذ عبد القادر بن حراث في مجلة مسالك: «إن فكر الأمير في كتاب "المواقف" يكاد يخرجه عن الدين الإسلامي الحنيف»..، والدكتور عبد الله الركيبي الذي وصف صفحات الحوار التي أشرنا لها سابقا في الموقفين 30، 74 بالتشويش على مبدأ التوحيد والتشكيك بعظمة الخالق جل شأنه وعظم قدره. فهذه الأقوال حسب بديعة لا تدخل في دائرة الرموز الصوفية ولا اللغة التي لا تعطي

دلالة على مرادهم، بل هي تتناقض مع **مبدأ** التوحيد وتتناقض مع ما جاء في سورة الإخلاص تماما؛ في قوله تعالى: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ؛ اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.[34]

3-شهادة الشيخ عبد المجيد الخاني بن محمد **الخاني** (ت 1318هـ) في كتابه: "الكواكب الدرية على الحقائق الوردية". وتسرد الأميرة شهادته **على النحو الآتي:** «إن والده الشيخ محمد الخاني كان صديقا للأمير وكثيرا ما كان يراجعه في بعض المسائل التي تخفى عليه، ويسأله حل بعض الأمور من كتاب فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرها؛ **فكان** الأمير لكثرة حبه للخير مع وفرة موانعه وشغله كان يقيد الأجوبة ويرسلها إليه أي إلى والده، فكان والده من فرط حرصه على هذه الأجوبة يلحقها بالمواقف بإذنه، فمازال الوالد يضم كل مسألة إلى أخدانها ويقرنها بأقرانها حتى اجتمع لديه من ذلك ثلاث مجلدات ضخمة، وقد ذيّلها والده محمد الخاني بعد وفاة الأمير بالجزء الثالث منها بما وجده في كناشة بخطه». وتواصل الأميرة بديعة تحليلها لهذه الرواية حسب النقاط الآتية:

-النقطة الأولى: التي يتوجب علينا الوقوف عندها كباحثين- الكلام للأميرة بديعة- هي أن الشيخ كان يطلب أجوبة والأمير كان يرسل **أي لا** يوجد تسليم باليد، وأن هناك شخصية ثالثة على الخط ليس المهم من هي؟ ولكن المهم البعد في الزمان والمكان عن الكتاب الذي يؤلف، والخاني هو الذي يجمع النصوص ويرتبها كما ذكر ابنه الشيخ عبد المجيد الخاني في الكتاب المذكور.

-النقطة الثانية: هي الضم إلى أخدان وأقران، ألا يفهم من ذلك أن لدى الشيخ نصوصا ضمّها إلى أجوبة الأمير؟ ولكن البنوة ليست

واحدة ولا الأخوة واحدة، كانت أخدان وأقران؛ والواقع هي متناقضة كليا، لأن في لغتنا العربية معنى أقران: أي جمع بين شيئين أو عملين، ويقال اقترن الشيء بغيره أي اتصل بغيره وصاحبه، أما الأخدان فمعناها الأصدقاء.

ألا يُفهم من ذلك أن الخاني كان يضم أجوبة الأمير إلى نصوص أخرى كانت في حوزته ضنها تشبه أجوبة الأمير لأنه لم يقل أنه كان يجمع أجوبة الأمير وأخواتها إلى أن اجتمع لديه ثلاث مجلدات، وإنما قال يضم أجوبة الأمير إلى متشابهات برأيه أخدان وأقران، وهذا سبب التناقضات في كتاب المواقف، أليس هناك احتمال كبير أن هذه الأخدان نقلها الخاني من كتب تحمل اسم المواقف منها: لعبد القادر بن محي الدين (ت 1150هـ)، والثاني المواقف من تأليف عبد القادر بن محي الدين الجيلاني؟ والثالث أيضا تحت اسم المواقف لعبد القادر بن محي الدين قضيب البان (ت 1040هـ)!، والرابع أيضا المواقف تحت اسم عبد القادر بن محي الدين القادري الصديقي!. وهذه الكتب موجودة في قسم التاريخ في مكتبة الأسد بدمشق في معجم المؤلفين لعمر كحالة، ص. 198.

وأثناء عملية البحث التي قمنا بها في فهارس مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة وقفنا على عناوين كتب أخرى تحمل نفس هذا العنوان منها: شرح المواقف لعضد الدين عبد الرحمان الإيجي/ علي بن محمد الجرجاني معه حاشيتا السيالكوتي والجلبي على شرح المواقف، وكتاب المواقف، كتاب المخاطبات لمحمد بن عبد الرحمان الجبار بن الحسن النفري.

- النقطة الثالثة: هي كلمة (بإذنه) أي بعلم الأمير، وهذه إشارة من مؤلف كتاب (الكواكب الدرية) إلى المكانة العالية من التهذيب لدى والده، حيث من الممكن وضع هذه النصوص في كتاب المواقف من غير علم الأمير، ولكنه كان مهذبا ولم يفعل، وهذا دليل على أن الكتاب كان مشروعه وعنده يكتب فيه ما يشاء وأخذ إذن الأمير بوضع الأجوبة فيه لإثرائه، لم يذكر أن الأمير كلفه أو طلب منه وإنما هو الذي كان يطلب، أي الخاني، والأمير على الرغم من مشاغله كان من كثرة حبه للخير كما ذكر يلبي طلبه ويرسل إليه الأجوبة.

- النقطة الرابعة: هي كلمة (الضم والإلحاق) التي تعني العمل، الكتابة وهي شهادة واعتراف بأن الخاني هو الذي كان يكتب ويؤلف كتاب والأمير كان يرسل أجوبة فقط للسائلين، للخاني أو لغيره.

- النقطة الخامسة: هي جملة (حتى اجتمع من ذلك ثلاث مجلدات ضخمة)، اجتمع من ذلك عند من؟ أليس عند من كان يضم ويلحق ويكتب؟ وأن الجزء الثالث من هذا الكتاب كتبه بعد وفاة الأمير كما ذكر كتاب الحدائق الوردية.

- النقطة السادسة: وهي جملة (بعد وفاة الأمير ذيل الجزء الثالث من كناشة)، هذه الجملة أرى أنها تحتاج إلى شيء من التحليل: أولا: لم يشر الشيخ الخاني إلى أن الأجزاء التي كتبت بحياة الأمير كان للأمير رأي فيها ولا بعنوانها. ثانيا: لم يشهد الشيخ الخاني أن والده أخذ رأي الأمير بهذا العمل أو هذا المشروع من أساسه الذي كان يقوم به، ولا حتى أخذ رأيه بالعنوان الذي أطلقه على الكتاب ولا على هذه التقسيمات، وكما هو واضح فالأمير كان

مغيبا تماما عن هذا المشروع وهذه هي الحقيقة، والشيخ كان صادقا لم يشهد بشيء لم يحدث، **وأعترف**-تقول الأميرة- **بأن الجزء الثالث كتب بعد** وفاة الأمير ولم يقل بأن الأمير كلّفه أو أعطاه كناشته لينقل منها ما يشاء، أو أوصاه بتأليف **كتاب ووضع اسمه** عليه، وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن: من أين جاء الشيخ بهذه الكناشة؟ هل يجوز تأليف كتاب ديني معظمه تفاسير لآيات قرآنية وأحاديث شريفة بغياب من وضع اسمه عليه؟ وأيضا بعد وفاته بسنين طويلة، ولا يوجد أي نص مخطوط بخطه ولا دليل يثبت أنه رآه بحياته أو وافق عليه؟ وإن كان هذا جائز فهو أمر خطير ومخيف!!.

لم تكن الأميرة بديعة وحدها فقط التي تنفي كتاب المواقف عن الأمير عبد القادر بل يشاطرها الرأي أيضا محمد خلدون بن مكي الحسني **الجزائري**- أحد أحفاد الأمير أيضا-في دراسته الموسومة بـ: إظهار المعارف في تبرئة الأمير **عبد القادر** من كتاب المواقف، وهو يستند إلى جملة من المعطيات أذكرها كاملة وكما وردت على **النحو الموالي:**

1-«تقرير الخبرة الفنية الذي كتبه الأستاذ هشام الغراوي، الخبير المحلّف بشؤون الوثائق لدى وزارة العدل السورية من 1952-1979 **والذي** أثبت فيه أن المخطوطات الخاصة بكتاب ال**مواقف** والتي كتب عليها إنها بخط الأمير فهي ليست بخطه قطعا، كذلك الوثائق العسكرية التي تروِّج لها الكتب الفرنسية هي أيضا ليست بخط يده بل هي مُزورة عليه والتزوير مُفتضح لكل متأمل.[35]

2- إن الأمير عبد القادر لم يذكر أنه ألّف كتاب المواقف ولا غيره، ولم يشر إلى ذلك **لا في** أشعاره ولا في رسائله.

3- إن الأمير عبد القادر كان قائدا عسكريا وحاكما وقاضيا وسياسيا وأمضى عمره على صهوات الخيل مجاهدا، ثم في المنفى ثم متنقلا بين الأستانة وبورصة ودمشق، ولم يكن عنده من الوقت ما يسمح لتأليف كتاب ضخم ككتاب المواقف الذي يقع في أكثر من 1500 **صفحة.**

4- لم يذكر أحد ممن كان يحضر مجالس الأمير عبد القادر الخاصّة أو دروسه العامة في الجامع الأموي، أن للأمير كتابا اسمه المواقف.

5- إن المقرّبين من الأمير عبد القادر من علماء عائلته كابن أخيه السيد عبد الباقي الحسني مفتي المالكية بدمشق (وهو جد محمد **خلدو**ن الحسني)، وابن أخيه الثاني السيد محي الدين الحسني (وهو جد السيدة بديعة)، وهما صهراه أيضا وكان ملازمين للأمير، لم يسمعا أبدا الأمير يتحدث عن هذا الكتاب، ولم يسمعا منه كلاما يوافق الكلام الموجود في كتاب المواقف بل على العكس كان كلامه لآخر لحظة من حياته مخال**فا** لما في المواقف من العقائد الباطلة، وليس في أسرة الأمير من يقول بتلك العقائد لا في أبنائه ولا في أحفاده بل ورثوا عنه العلم الصحيح والعقائد الواضحة السليمة.

6- إن الأمير عبد القادر ولآخر يوم من حياته كان يدرس في الجامع الأموي بدمشق صحيح البخاري **وموطأ الإما**م مالك ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ويُشيد بمبحث العقائد الذي في مقدمة الرسالة، وكل هذه الكتب تخالف تماما العقائد الموجودة في كتاب المواقف، فكيف يكون

مدرس هذه الكتب وكاتب المواقف شخصيا واحدا مع هذا التناقض الكبير بين الإيمان والكفر؟!!!.

7-لم يذكر أحد من العلماء المعاصرين للأمير عبد القادر رحمه الله صحة نسبة كتاب المواقف إليه.

8-هناك من يقول: إن الأمير قد أوصى أن يدفن بجوار قبر الشيخ ابن عربي وهذا دليل على أنه كان يتبنى عقائده ومن ثَمَّ فهو مؤلف كتاب المواقف، وفي الجواب أقول: إن الأمير عبد القادر لم يوص قط بذلك، بل انه اشترى أرضا بطرف مقبرة الدحداح ليدفن فيها وأوقفها على ذريته ليدفنوا فيها جميعهم وبجواره، ولكن بعض مشايخ دمشق هم الذين أصروا على دفنه بجوار ابن عربي ظنا منهم أنهم يسدون إلى الأمير معروفا؟!!.

9-كل من ذكر أن للأمير كتاب اسمه المواقف مثل الشيخ محمد جميل الشطي في كتابه أعيان دمشق نقل ذلك من كتاب تحفة الزائر لمؤلفه محمد باشا الابن الأكبر للأمير عبد القادر، ونحن نعلم أن كتاب تحفة الزائر كتبه محمد باشا في حياة والده ثم حرق الكتاب كله بعد وفاة والده، وحاول محمد باشا إعادة كتابته وأعانه بعضهم في ذلك، فكان نتيجة ذلك أن شمل كتاب تحفة الزائر كثير من الأحداث المغلوطة، ودخل فيه ما كان يزوِّره المزوِّرون ويدسّه المبطلون، فلا يمكن الاعتماد على ما فيه وخصوصا نسبة كتاب المواقف للأمير بعد ذكر كل تلك الأمور التي تنفي عن الأمير هذا الكتاب.

10-طبع كتاب المواقف بعد وفاة الأمير بـ28سنة في القاهرة وكل المخطوطات الموجودة هناك وفي المكتبة الظاهرية بدمشق يقول ناسخها أنه

نقلها عن المخطوطة الأصلية، ولم يُكتب على أية مخطوطة اسم ناسخها بل يُذكر دائما أن كاتبها مجهول أو لا يعرف، والمخطوطة الأصلية ليست بخط الأمير بل مزوّرة عليه، فكيف نُصدِّق المجهولين، وكيف نقبل سندا لكتاب معلول بعلل كثيرة، الانقطاع والجهالة والكذب والمخالفة»..؟!!؟.[36]

وما يمكن قوله في الأخير عن المواقف ما جاء على لسان حفيدته: «**ومع الأسف اعتبر كتاب** المواقف في الجزائر النِّتاج الفكري الأهم لدى هذا المجاهد الكبير، ولم ينتبه أحد من المؤرخين أو العلماء إلى التحريف والتأويل الخطير الذي ملأ صفحاته وقُدِّم إلى المكتبات في الجزائر بشكل مخطوط زُعم أنه بخط الأمير نتيجة لذلك الإهمال والتهاون بكشف حقيقة كتاب المواقف الذي ينسب إلى هذا المجاهد، وتُرجم إلى عدد من اللغات وهو يحمل هذا التحريف الخطير ومن زيادة وحذف وتحرير واقتباس، وقَبِلَهُ الجميع على أساس أنه فكر الأمير جملة وتفصيلا».[37]

ومن جهتنا فيمكن القول: إن هذا جدل فكري وفلسفي كبير جدا يحتاج إلى ضرورة عقد ندوات علمية وملتقيات فكرية خاصة بالأمير عبد القادر بمشاركة أهل الاختصاص من علماء وفقهاء ومفكرين ومؤرخين قصد وضع النقاط على الحروف، وإظهار الحق من الباطل؛ والخروج بأفكار علمية نزيهة حول هذا البطل المغوار الذي بات عُرضة للكثير **من الكتابات المدسوسة والمغرضة.**

أما بخصوص ديوان الأمير عبد القادر فهو الآخر لنا تعليقات حوله، حيث وقفنا **على بعض** الأشعار التي نعتقد أنها هي الأخرى مدسوسة على الأمير، وبالتالي فهي تحتاج إلى إعادة النظر، ومن بينها ما جاء في القصيدة الاستفهامية التي

علّق عليها المحقق بقوله: «تبدو شطحات الأمير الصوفية في قصائده ذات أفكار متناقضة في بعض المواضع...أليس في تكرار أداة الاستفهام هل ثلاثين مرة خلال تسعة أبيات دون الإجابة على شيء منها، ما يؤكد شروده الذهني».[38] فهل الأمير كان يكتب فعلا وهو شارد الذهن؟ وحتى لو كان شرودا فليس الشرود الخروج عن الملّة الإسلامية؟ ألم يظل الأمير في كامل قواه العقلية والفكرية حتى آخر لحظة من حياته؟. وبالتالي فمضمون القصيدة نجده يشوّش على فكر الأمير وعقيدته، ومن بين ما جاء في هذه القصيدة:[39]

وهل أنا ذا حق وهل أنا ذا خلق % وهل عالمي غيب أو انى شهادى

وهل أنا جوهر وهل أنا ذا كيف % وهل أنا جسماني أو أنى روحاني

وهل أدري من أنا في هذا تحيري % وهل أنا ذا ميت وهل أنا ذا حى.

فصوفية الأمير لا تدفع به إلى أن يحتار في أمره؛ وهذه التساؤلات أعتقد أنه لا معنى لها؛ وفي معرض حديثه عن نظر الأمير إلى وحدة الوجود -حسب زكريا صيام- التي رأى فيها نفسه البشرية جزءا من الذات الإلهية، حيث تذوب ذاته البشرية وتغدو ذاتا روحية؛ حيث يقول الأمير حسب محقق ديوان الأمير:[40]

أنا حق، أنا خلق % أنا رب، أنا عبد

أنا عرش، أنا فرش % وجحيم، أنا خلد

أنا ماء، أنا نار % وهواء، أنا صلد

أنا كم، أنا كيف % أنا وجد، أنا فقد

أنا ذات، أنا وصف % أنا قرب، أنا بعد

فهل يمكن للأمير عبد القادر أن يكون صوفيا حلوليا إلى هذه الدرجة؟ وهل هذه هي وحدة الوجود في نظر الأمير؟ ونجد في موقف آخر من أراد أن ينسب للأمير بعض الأبيات الشعرية التي نقلها طبعا من كتاب المواقف وهي في غاية الخطورة واستدل بها المؤلف على التماهي الأديانيّ اللاّ محدود الذي ينضح به خطاب الأمير:[41]

فَطَورَا تَرَانِي مُسْلِمَا أيَّ مُسلِمِ % زَهُودَا نَسُوكَا خَاضِعًا طَالِبًا مَدَا

وَطورًا تَرَانِي لِلكنَائِس مُسْرِعًا % وَفِي وسْطِيَ الزّنارُ أحْكَمتُهُ شَدَّا

وَطَورًا بِمدَارس اليَهُودِ مُدَرِّسًا % أقَررُ تَورَاةً وأبدِي لَهُم رُشْدَا.

فهل هذه هي نزعة الأمير الصوفية التي أكّد فيها على وحدة الأديان السماوية كما يرى فؤاد صالح السيد في معرض حديثه عن تصوف الأمير عبد القادر؟[42] وهل يعقل للأمير أن نثبت له كل هذه النواقض؟ فهذا خلط في الأفكار لا يمكن القبول به؛ فكيف يكون الرجل مرة مسلما ومرة مسيحيا ومرة يهوديا؟

وبخصوص هذه النقطة فالأمير لم يكن يؤمن بوحدة الأديان بقدر ما كان يؤمن بوحدة الدين الإسلامي، ألم يكتب على وجه العملة النقدية "الفرنكين" التي صكّها: الدين عند الله الإسلام؟ وعلى وجه العملة "المحمدية" الأخرى الدين عند الله الإسلام.؟ ألم يذكر في كتابه المقراض الحاد-المقص- عندما يتعرض لليهود: لعنة الله عليهم في عدد من الصفحات! فكلما جاء ذكرهم قال: اليهود لعنة الله عليهم! وحديثه عن الأنبياء يصفهم جميعا بالمسلمين، وأن الدين عند الله هو الإسلام.

وتذكر الأميرة بديعة بخصوص هذه النقطة: «وحينما أقول أن الأمير كان يؤمن بدين واحد غير محرّف، أقول **ذلك لأنني سمعت بأذني من جدتي** تقول: إن أبي كان يردد أمامنا دوما هذا البيت (عليك بشرع الله فألزم حدوده، وحيثما سار سر، وإن وقف قف) وجدتي ابنته وجدي الآخر ابنه هؤلاء عاصروه، وما سمعته منهم كان عفويا وشفاف، والذين يلصقون به تلك الكتب والأبيات لم يقدموا دليل لا خطي ولا تاريخي حتى ولو كان ابنه محمد باشا».[43]

أما بخصوص المصادر الأجنبية التي تناولت فكر الأمير عبد القادر فهي كثيرة جدا ومتنوعة، وليس غايتنا هنا التنويه بها أو الإشارة إليها لأن موضوع مقالنا لا يدفعنا إلى المقارنة أو الاستشهاد بها بقدر ما هو نابع من صميم **ذاكرة** لا تزال على قيد الحياة. ومن بين هذه المصادر مثلا ما أشار اليه "برونو إتيين" الذي ذهب بعيدا في تصوير الأمير بمثابة راهب ومعتزلي وماسوني وغيرها من التصورات التي لا نعتقد أنها تتماشى مع الحقيقة.[44] وغايتنا هنا ليس إهمال ما كتبه الآخر عن الأمير وإنما **النقد** الوجيه والصحيح الذي يخدم الحقيقة العلمية.

ويشاطر هذا الرأي "بيار ميشال باخ" الذي ذهب هو الآخر إلى الحديث عن تأثر الأمير بابن **عربي واعتناق أفكاره وإلى الإقرار بكتابة** الأمير للمواقف لكم نمن دون إقناعنا بذلك.[45] أما الجانب البطولي في الأمير فلا يكاد يخلو مصدر أو مرجع أوربي من التنويه والاعتراف بعظمة الأمير. وخير دليل على ذلك ما كتبه شارل أندري جوليان.[46] و"فيليب كوسي بريزاك".[47]

وما يمكن قوله في الأخير أن هذا المقال هو مجرد محاولة تاريخية حاولنا من خلالها تسليط الضوء على الجهد الذي تقوم به حفيدة الأمير ومدى سعيها في سبيل تقديم قراءة تاريخية جديدة لجانب مهم من حياة الأمير عبد القادر وجهاده، ومن باب الأمانة العلمية وبحكم أن حفيدة الأمير لا تزال على قيد الحياة قمنا بإفادتها بهذا المقال عبر البريد الإلكتروني؛ فتفضّلت مشكورة بقراءته وتنقيحه وإبداء رأيها حوله.

وأعتقد أن هذا المقال سيثير كثير من الردود والمناقشات العلمية الهادفة إلى المساهمة في إثراء هذا الطرح الجزائري الجديد الذي تبنته، وهو طرح معزز بالشواهد والوثائق التاريخية، ورغم ذلك فإن نظرتنا ومعالجتنا لمثل هذا الموضوع وخصوصا ما تعلق بكتابي المواقف وذكرى العاقل وتنبيه الغافل ستظل قاصرة ومحدودة ما لم تتوفر هناك أدلة ووثائق تاريخية تؤكد هذا الطرح وتتبناه أو تفنّده وتتغاضى عنه؛ هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فلم تكن غايتنا هنا الانتصار لذواتنا أو لغيرنا والانجرار وراء عواطفنا الجيّاشة مُهمِلين في ذلك الجانب الموضوعي؛ لأن ما تطرقنا إليه لم يكن وليد الصدفة أو حُب المغامرة بقدر ما كان نابعا من رواية شفوية لا تزال صاحبتها على قيد الحياة؛ ومن وثائق تاريخية تُعزز وتُثمِّن هذه القراءة التاريخية الجديدة بمزيد من الاهتمام والدراسة.

الهوامش

1- بديعة الحسني، الجزائري: رواية شفوية حول مقاومة الأمير عبد المالك في المغرب، الحلقة الأولى، يوم الخميس 10/07/2008، صباحا، بمنزلها، في دمشق.

2- هو الأستاذ الفاضل عبد العزيز لعميد أستاذ تاريخ بالمركز الجامعي بخنشلة.

3- ينظر الصورة التي التقطناها معها ببيتها في 10 جويلية 2008 بالملحق رقم 1.

4- الأميرة بديعة: وما بدلوا تبديلا، ط. 2، دار الفكر، دمشق، 2008.

5- الأميرة بديعة الحسني: ((حقائق بعيدة عن المغالطات التاريخية))، مسالك، مجلة سداسية تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر، ع. 2، جانفي-جوان 1998، الجزائر، ص. 7.

6- نفسه، ص. 7.

7- الأميرة بديعة: ((أدعو الدولة لتصحيح التاريخ المدرسي الذي يشوّه الأمير عبد القادر))، الخبر، إخبارية يومية، الاثنين 23 مارس 2009م/ 26 ربيع الأول 1430هـ، ص. 27.

8- بديعة الحسني، الجزائري: رواية شفوية حول مقاومة الأمير عبد المالك في المغرب، المصدر السابق.

9- الأميرة بديعة الحسني: "تشويه سمعة الأمير عبد القادر الدينية والنضالية في المجلد (زكي أبو زيد)"، رسالة إلى كمال بوشامة سفير الجزائر بدمشق، بمناسبة دمشق عاصمة الثقافة العربية.

10- نفسه.

11- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: ((حقائق بعيدة عن المغالطات التاريخية))، مسالك، ع. 2، المرجع السابق، ص. 7.

12- الأميرة بديعة الحسني: ((أدعو الدولة لتصحيح التاريخ المدرسي الذي يشوّه الأمير عبد القادر))، الخبر، المرجع السابق، ص. 27.

13- مراسلة شخصية مؤرخة في 2009/12/29م

14- الأميرة بديعة: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص-ص. 178-188.

15- مراسلة شخصية مؤرخة في 2009/12/29م

16- محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ط. 2، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، 1384هـ/ 1964م، ص. 498.

17- مراسلة شخصية مؤرخة في 2009/12/29م

18- محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر ، ج. 1، المصدر السابق، ص. 500.

19- جمال، قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص. 34.

20- أستاذ التعليم العالي بقسم التاريخ بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة / الجزائر، لقد أورد هذه الكلمة أثناء مناقشته لرسالتنا العلمية -الدكتوراه- يوم 2009/12/07 بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، الموسومة بـ: المهاجرون الجزائريون في المغرب الأقصى ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي 1830-1930.

21- بديعة الحسني، الجزائري: رواية شفوية حول مقاومة الأمير عبد المالك في المغرب، المصدر السابق.

22- مراسلة شخصية مؤرخة في 2009/12/29م

23- مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص. 7.

24- نفسه، ص. 15.

25- نفسه، ص. 15.

26- نفسه، ص-ص. 16-17.

27- نفسه، ص. 6.

28- الحاج مصطفى، بن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص. 10.

29- مراسلة شخصية مؤرخة في 2009/12/29م.

30- مراسلة شخصية مؤرخة في 2009/12/29م.

31- يمكن مراجعة هذه الشواهد كاملة ضمن كتاب الأميرة بديعة الموسوم بـ: الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ص-ص. 369-393. كما أن هذه الشواهد منشورة كاملة ضمن الموقع الإلكتروني التالي:

www.djelfa..anfo/vb/showthread.php?

32- المواقف، ج. 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص. 23.

33- نفسه، ص. 44.

34- سورة الإخلاص، رواية ورش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995.

35- يمكن مراجعة تقرير الخبرة المؤرخ في 21 جمادى الأولى 1420هـ/ 1 سبتمبر 1999م في كتاب: الأمير عبد القادر حقائق ووثائق، للأميرة بديعة، ص-ص. 185-204.

36- الأميرة بديعة: وما بدلو تبديلا، ط. 2، دار الفكر، دمشق، 1429هـ/ 2008م، ص-ص. 262-264.

37- الأميرة بديعة: الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص. 174.

38- زكريا، صيام: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص. 323.
39- نفسه، ص. 324.
40- المواقف، ج. 2، المصدر السابق، ص. 72.
41- طارق، لعجال: ((خطاب الإخاء الديني في فكر الأمير عبد القادر))، ندوة: الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، منشورات مخبر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية، دار الهدى، 2006، ص. 134.
42- الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 118.
43- مراسلة شخصية مؤرخة في 29/12/2009م.

44-Bruno Etienne: Abdel Kader, Hachette, Paris, 1995.

45-Pierre Michelbach, Magazine de l'histoire N° 43, 57 Rue de saine 75280, Paris Mars 1982, P. 95.

46-Julien, Charles André: Histoire de l'Algérie contemporaine, conquête et colonisation, tome 1, Presse universitaire de France, 108, Boulevard Saint Germain Paris, 1964.

47-Philippe, Cosse, Brissac : Les rapports de La France et du Maroc pendent La conquête de l'Algérie, 1830 – 1847, la rose, Paris, 11 rue Victor Cousin, 1931.